

التمهيد

ولا : ابن نور الدين وزه و كتابه :

اسمه:

مُحمد بن عَلي بن عَبد الله بن إبراهيم بن أَدَم بن أبي كَـر الخطِيب
ملا مزيَّع عُر ف والده ب (و والدَّين). (١)

كنيته:

ابن الذَّ طيب، نسبة جده، وهو عبد الله، الذي عر ف بالخطيب، (٢) حيث كان
خطيباً في قرية من قرألب (يَرفو) صف بالزهد والعبادة. (٣)

لقبه :

جَمالُ الدَّين. (٤)

شهرته :

ابنُ وِ الدَّين. (٥)

(١) تنظر ترجمته في: الضوء اللامع: ٢٢٣/٨ ، و طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٨ ، والأعلام: ٢٨٧/٦ ، وهدية العارفين: ١٧٨/٢ ، و معجم المؤلفين: ٢٤/١١ ، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢١٨ .

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية: ٢٦٠/١ - ٢٦١ .

(٣) ينظر: العقود اللؤلؤية: ٢٦٠/١ - ٢٦١ .

(٤) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٨ .

(٥) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢١٨ ، وكل من ترجم له يسميه (ابن نور الدين). تنظر: مراجع ترجمته السابقة.

مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد الإمام ملا مزيعةً بقرية (مَزَع) (١)، ولا يعرف تاريخ ولادته، و (مَزَع) بفتح الميم بعدها واو ساكنة ثم زاي مفتوحة وعين مهملة، قال صاحب تاج العروس: «هو مَزَع (مَزَع) قرية باليمن كبيرة... وهي سادس منازل حاج عدن، وقد خرج منها فضلاء على اختلاف الطبقات» (٢).

وهو من أسرة علمية رَفِدَتْ بالتقوى، والصلاح عُدَّ منهم علماء كبار، (٣) فالإمام مالا مزيعةً نشأ وسعياً زاهر بالعلماء، فقد جاء في العقود اللؤلؤية ذِكرُ جدِّه (الخطيب) كانت له ذرية طيبة نشأت على يديه، وكان ثالثهم اسمه (إبراهيم)، وهو أكثر إخوته اجتهاداً، وقد تتلمذ على ابن نور الدين مالا مزيعةً وخلفه في درسه بعد موته. (٤)

وقد تلقى علومه في بلدته (مَزَع)، ثم رحل إلى مدينَة (يَد) مدينة العلم والعلماء، فحصل من العلوم ما شاء الله له، وبعد تخرجه أجازَه العلماء بجميع الفنون والعلوم فدرَّس وأفْتى، واشتهر عند الخاصة والعامة. (٥)

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٩.

(٢) تاج العروس: ٥٤٠/٥، ومعجم البلدان: ٥/٢٢١.

(٣) منهم: أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب، وهو الذي ينتسب إليه بنو الخطيب. ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٧٠.

(٤) ينظر: العقود اللؤلؤية: ١/٢٦٠ - ٢٦١.

(٥) ينظر: الاستعداد لرتبة الاجتهاد (قسم الدراسة): ١٧/١ - ٢٠.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

نال ملا موزعاً منزلة عالية رفيعة في العلم، كما حظي بقبول كبير عند الناس، وخاصة عند أهل العلم الذين عرفوه، وهذا يدل على أنه تبوأ في قلوبهم مكانة خاصة، فقد كان شيخه القاضي جمال الدين حمد بن عبد الله اللبكي^(١) (ت: ٧٩١هـ) يجله ويقدّر به، وقد أجرى له صرفاً خاصاً فأباه^(٢).

ونكّر في طبقات صلحاء اليمن من أهل وزع: «ومنهم الإمام العلامة، الزاهد العابد، جمال الدين محمد بن نور الدين الخطيب، كان إماماً عالماً، علمه كالعارض الهاتل.. جيّ للزّ مان، مستقر المحاسن، ومستودع الإبداع والإحسان، فخر اليمن، وبهجة زال من المصدّ بور، الوصول للرحم، الخشوع، له الباع الطويلة في علم الفقه والأصول، والنحو والمعاني والبيان واللغة، أخذ ذلك على مشايخ كثيرة بعد انقطاعه عن بلده وأهله وخدمته للعلم الشّريف، وتورعه عن أموال الناس وعذّ قبض شيء من الوقف لم يعدّ لأهل الأسباب وغير ذلك... وكان يستنبط الفروع الصحيحة والفوائد الغريبة يقرّ له لنظراً ويتهجّ به خاطر، وكان ذا صدقة وأفعال للخير كثيرة...»^(٣).

(١) وهو من كبار الشافعية. ينظر: هدية العارفين: ٣٣١/٤.

(٢) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢١٨.

(٣) طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٨ - ٢٦٩.

يقول مآل مزيء في كتابه (الاستعداد لرتبة الاجتهاد) : «وكننت - بحمد الله - ممن منحه الله سبحانه علم هذالمصد نعة الش ريفة، العلية المنيفة، واستعمل قلبه فيها، وأكثر الد ور عليها، ونال بها كل مطلب، وود د منها كل مشرب».(١)

وتتنوع مصنفاته بين العلوم الإسلامية من تفسير وأصول ونحو لهو أكبر شاهد على مكانته العلمية.

شيوخه :

تلقى رحمه الله تعالى العلم على يد علماء منهم:

لجمال الدين حمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي السعول الدثني . الربيعي . ، من كبار علماء الشافعية في اليمن.(٢)

٢. جاء في طبقات صلحاء اليمن أنه تتلمذ على يد جماعة من بني النشري وغيرهم،(٣) منهم : القاضي عبد الله النشري وتاج الدين الهندي للي ، وغياث الدين م حمد بن جعفر الهندي للي أيضا ، وأبو عبد الله السوسى الللي .(٤)

(١) الاستعداد لرتبة الاجتهاد: ٩١/١.

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية: ٦٠/٢ ، ١٠٥ ، وكشف الظنون: ٤٩/١ ، و شذرات الذهب:

٣٢٥/٦ ، و الأعلام: ٢٣٧/٦ ، وهدية العارفين: ٣٣١/٤ ، و مصادر الفكر الإسلامي: ٢١٨.

(٣) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٨.

(٤) تحفة الزمن: ٢٩١ (مخطوط) نقلا عن: الاستعداد لرتبة الاجتهاد (قسم الدراسة): ٥١/١.

تلاميذه:

- أخذ عن ابن نور الدين علماء كثر، استطعت أن أتعرف على بعض منهم:
١. السيد يلد سين بن عللوّ حمن الأذل، صاحب كتاب (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) وقد نقل أخبار شيخه ملا فيزء، توفي سنة (٨٥٥هـ).^(١)
٢. رضي الدين أبو بكر بن أحمد بن عسء بن القئي، توفي سنة (٨٤٢هـ).^(٢)
- ومن مشايخه والده أحمد بن عسء سينومحمّ د بن نور الدين ملا فيزء وغيرهما.^(٣)
٣. أبو بكرمحمّ د برضي الدين أبو بكرالذ طيب، قرأ على ابن نور الدين ملا فيزء وعلى غيره الفقه والنحو والحديث.^(٤)
٤. ولدشد مس الدين علي بنومحمّ د، وأخته الحرقد يجة، والتي زوجها من تلميذ له، وغيرهما من أولاده.^(٥)

(١) ينظر: الضوء اللامع: ١٤٥/٣، والأعلام: ٢/٢٤٠، وهدية العارفين: ٣١٥/١.

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية: ٢١٧/، الضوء اللامع: ١٧/١١ - ١٨، وكشف الظنون: ١١٥٢/٢.

(٣) ينظر: الضوء اللامع: ١٧/١١ - ١٨، وطبقات صلحاء اليمن: ٢٧٤.

(٤) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٧١.

(٥) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٧٠.

آثار وزعم العلمية :

وهي كثيرة منها:

أ. المطبوعة:

١. الاستعداد تبة الاجتهاد، وقد نسخ سنة (٨٤٨هـ).^(١)
٢. تيسير البيان لأحكام القرآن، فرغ من تأليفه سنة (٨٠٨هـ) سر فيه آيات الأحكام.^(٢)
٣. مصاييح المغاني في حروف المعاني (الذي نحن بصدد دراسته).^(٣)

ب. المخطوطة:

- الردّ سالة في الردّ على ابن عربي.^(٤)
٢. كشف الظلمة عن هذا الأمل.^(٥)
٣. المطرب للسامعين في حكايات الصالحين.^(٦)

(١) قام بتحقيق الجزء الأول منه: الدكتور ملاطف محمد صلاح مالك، والجزء الثاني: محمد بركات، وهما مطبوعان في مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨م.

(٢) قام بتحقيقه: أحمد محمد المقرئ، في رسالة دكتوراه من جامعة الإمام في المملكة العربية السعودية.

(٣) والمغاني بفتح الميم والغين المعجمة المنازل التي كان بها أهلها، ثم صنعوا، وقيل: هي المنازل مطلقاً، واحدها أي المغاني: مَغْنَى، بالفتح اسم مكان، من غني بالمكان البراح ك (فرح):

أقام به. ينظر: تحرير الرواية في تقرير الكفاية: ٤٣٤.

(٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٣٣٠.

(٥) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٣٣٠.

(٦) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٣٣٠.

وغيرها من الكتب التي ذكرتها مصادر ترجمته.

وفاته

ذكر صاحب (طبقات صلحاء اليمن) ذمّاً مآلاً ^(١) توفي بعد سنة عشر وثمانمائة، ^(٢) وجاء في (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن) نقلاً عن تلميذه الأهدل أنَّهُ ^(٣) توفي في أوائل ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ^(٤) والذي ذكره الأهدل هو المعتمد لكونه تلميذه، وهو أعر فبه من غيره، والله أعلم.

مكانة كتابه (مصابيح المعاني) بين الكتب الأخرى

الناظر في الكتب التي جاءت مختصة بحروف المعاني، يجلُّذُّها نهجت منهاج مختلفة، من حيث طريقة عرض الأدوا وتوعددها، فمنها ما نهج منهاجاً عفويا، كـ (حروف المعاني) للزجاجي ^(٥) فهو لم يرتب الأدوا تترتياً هجائياً على حروف المعجم، ولا موضوعياً، ولا على أساس بنيتها الأحادية فالثنائية فالثلاثية، ^(٦) ومثله كتاب (الأزھية في علم الحروف) للهروي ^(٧)

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن: ٢٦٩.

(٢) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢١٨.

(٣) أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي، تتلمذ على يد أبي إسحاق الزجاج، وابن كيسان، من تصانيفه كتاب (الجمال في النحو)، (ت: ٣٣٧هـ). ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٣٦/٣.

(٤) ينظر: حروف المعاني للزجاجي - قسم الدراسة: د. علي الحمد: ٣٤.

(٥) أبو الحسن، علي بن محمد الهروي، عالم بالنحو من أهل هـ راة، سكن مصر، وقرأ على الأزھري، من مصنفاته (الأزھية) و (المرشد في النحو)، (ت: ٤١٥هـ). ينظر ترجمته في: انباه الرواة: ٣١١/٢، والأعلام: ٣٢٧/٤.

ومنها ما نهج منهجاً متسلسلاً منتظماً ، وتنقسم هذه الكتب التي سارت على هذا المنهج على قسمين:

أ. كتب نهجت منهج الترتيب حسب البنية الأساسية للحروف، مثل (معاني الحروف) لماني^(١) ، و (الجنى الداني) لمراد ي^(٢).

ب. كتب نهجت الترتيب الهجائي حسب حرو ف المعجم،^(٣) ومن ذلك (صف المباني) للمالقي^(٤) ومنه أيضاً كتابه (غني اللبيب) لابن هشام (ت: ٧٦١هـ). ومالاً هزء جاء بعد هذه الدراسات المختصة، فأفاد منها جميعاً ، ولاسيماً كتاب (مغني اللبيب) فقد أفاد منه مادة وترتيباً ، مضيفاً إلى ذلك ما اطلع عليه من الكتب الأخرى.

فلم يترك مالاً هزء من الأدوا ت التي ذكرها ابن هشام سوى ب (ل) وأضاف أدوا ت أخرى لا نجدها عند ابن هشام، فمثلاً يذكر في باب الهمزة أ (ي أين ، أينما، أيَّان) وفي باب الباء ب (د) وفي باب الذال (ذو، ذات، ذه، زيت) وفي باب الشين ث (ثان) وفي الكاف ك (ت، كان) وفي باب اللام ل (ن، ولـ. ي) وذكرها ابن هشام في

(١) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، معتزلي، مفسر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، له (شرح أصول ابن السراج) و (معاني الحروف) ، (ت: ٣٨٤هـ) وكتابه تحوم حوله الشكوك في نسبته إليه. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٩٩/٣، والأعلام: ٣١٧/٤.

(٢) حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، عالم في النحو والتفسير، من مصنفاته (شرح تسهيل الفوائد) و (تفسير القرآن)، (ت: ٧٤٩هـ). ينظر ترجمته في: هدية العارفين: ٣٢٢/٢ ، ومعجم المؤلفين: ٢٧١/٣.

(٣) ينظر: رصف المباني للمالقي، قسم الدراسة، تحقيق: د. أحمد الخراط: ٢٨.

(٤) أحمد بن عبد النور بن رشيد المالقي النحوي، له كتاب (صف المباني في حروف المعاني)، (ت: ٧٠٢هـ). ينظر ترجمته في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٧ ، وبغية الوعاة ٣٣١/١.

مبحث (عند) و(هـ) وفي باب الميم (هـ) وفي باب النون (نـ) وفي باب الهاء (هـ) ات ههآت هلم ، هلاهيا ، هي).

كما تكلم على (كـ) ، وابن هشام لم يذكرها في باب المفردات، نّ ما ذكرها في باب التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين.^(١) وهذا يعكس سعة اطلاع ملا فيز على كتاب مغني اللبيب.

ومن هذا الاستعراض المختصر، نخلص إلى أنّ كتاب (مصايح المعاني في حروف المعاني) امتاز بالاستقصاء والشمول، وذلك راجع إلى إفادته من منهج السابقين، لكنه زاد على ذلك بما حوى كتابه من معلومات تناثرت بين تلك الأسفار، فأثرت بذلك مادته العلمية، وأتى على أدوا ت لم يأت بها ابن هشام مثلاً، مستفيداً من كل كتاب وقع في يده، فهو من خير ماكتب في حروف المعاني، يقول رحمه الله في مقدمة الكتاب: «رأيت أن أجمع جزءاً لطيفاً في معاني الحروف وأفرده؛ لأجعله عدة في حياتي، وذخراً في وفاتي، بلطف الله وبرحمته إن شاء الله، إنه قريب مجيب». (٢).

موارده التي اعتمد عليها:

ملا فيز عالم يمتلك مقومات البحث العلمي الرصين، فقد لاحظت في كتابه التنوع في الموارد، منها ما أفاده مباشرة من الكتب التي وقع ت بين يديه، ومنها ما نقله عن بعض الأعلام في الذّ حوالاً والأصول، دون أن يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه، وهو كثير، وقد نثرت بعضاً منها في ثنايا البحث. فمن الكتب التي صرح بها واعتمد عليها:

(١) ينظر: مغني اللبيب: ٧٣٨.

(٢) مصايح المعاني: ٥٩.

١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: فقد صرح به في موضع واحد،
وسماه (إيضاح المسالك).^(١)

٢. الصّدّاح لإسماعيل بن نجم اللّجوهريّ^(٢) فقد أخذ عنه في مواضع، وقد
صرّح به صراحة، إذ يقول: «وفي صِدّاح اللّجوهريّ»^(٣) و: «أبي اللّجوهريّ»^(٤).

٣. الكشّد أفلّزم خشيّ^(٥) فقد نقل عنه^(٦) زعمه أن (ن) تفيد تأييد النفي.^(٧)
٤. مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام^(٨) فكان جلّ اهتمامه على
هذا الكتاب لأدّه وقف من ابن هشام مواقف مختلفة، ذكر تبعضاً منها في أماكنها

(١) ينظر: مصاييح المغاني: ٤٢٦.

(٢) هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد اللّجوهري، كان أديباً فاضلاً، أخذ من أبي علي الفارسي،
صنف الصحاح في اللغة، توفي سنة (٣٩٣هـ). تنظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات
الأدباء: ٣٤٤، وإنباه الرواة: ٣٦٣/٤.

(٣) مصاييح المغاني: ٢٠٧.

(٤) مصاييح المغاني: ٤٧٩.

(٥) هو: محمود بن عمر أبو القاسم جار الله، كان واسع العلم، غاية في الذكاء، متقناً في كل
علم، معتزلياً، من تصانيفه (الكشاف) و (الفائق في غريب الحديث) و (المفصل في صنعة
الإعراء ب)، (ت: ٥٣٨هـ). ينظر ترجمته في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٧٥.

(٦) ينظر: مصاييح المغاني: ٤٢٦.

(٧) ينظر: الكشاف: ٢٤٨/١، ١١٣/٢، ٢٢/٣.

(٨) هو: جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، نحوي، فاضل، علامة مشهور،
من مصنفاته (مغني اللبيب) و (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، (ت: ٧٦١هـ) وغيرها
الكثير. تنظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٦٨/٢، ٧٠.

المناسبة، فنراه يأخذ بكلامه ويعتمده مرة، ومرة أخرى يردّ عليه،^(١) واصفاً إياه بالغفلة والسهو!^(٢) وقد صرح باسم الكتاب.

وأما طريقته الثانية في النقل، فنراه ينقل عن علماء كبار فيصرح بأسمائهم، ولا يصرح بأسماء كتبهم منهم:

١. الكسائي^(٣) فقال جوهراً ز الكسائي^(٤) حذف اللام - أ ي لام الأمر - في الكلام بشرط تقدم (ل) وجعل منه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٥) أ ي: ليقيموها.^(٦)

٢. الأخفش^(٧) فقد نقل عنه في مواضع كثيرة، منها ما رآه الأخفش^(٨) في قوله تعالى: M \$ % & ' () * + , - ل^(٩) ذ^(١٠) معنى (بل) هو إِنْ () والتقدير: ذ^(١١) الذين كفروا.^(١٢)

(١) ينظر: مصابيح المغاني: ١٢٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٣، ٢١٥.

(٢) ينظر: مصابيح المغاني: ٧٤ - ٧٥.

(٣) هو أبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي، أخذ عن أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء، وهو أحد أئمة القراء، كان أعلم أهل الكوفة وإمامهم، وإليه ينتهون بعلمهم، (ت: ١٨٩هـ). ينظر ترجمته في: مراتب النحويين: ٧٤ - ٧٥، و نزهة الألباء: ٦٧ - ٧٢.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١٨٥٦، ومغني اللبيب: ٢٤٨.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣١.

(٦) مصابيح المغاني: ٣٨٣.

(٧) لقب إذا أطلق أريد به: الأخفش الأوسط، أبو الحسين سعيد بن مسعدة، أخذ النحو عن سيبويه، وهو من أكابر أئمة النحو البصري، صنف كتباً كثيرة في النحو والعروض، (ت: ٢١٥هـ). ينظر ترجمته في: مراتب النحويين: ٦٨ - ٦٩، و نزهة الألباء: ١٣٣ - ١٣٥.

(٨) تنظر: معاني القرآن: ٢٠/١ - ٢١.

(٩) سورة ص، آية: ١ - ٢.

(١٠) ينظر: مصابيح المغاني: ٢٣٢.

٣. أبو الحسين هـ د بن فارس بن كريا^(١)، وقد ورد اسمه كثيراً في الكتاب، وكان للمحقق دور في إرجاع هذه النصوص إلى مصادرها، منها ما نقله عنه في معاني^(٢) (أ) فقال: «قال بعضهم هي بمعنى (حقاً)»^(٣) تقول أم إن قائلهم، فمعناه: حقاً إن قائلهم، قاله ابن فارس^(٤).

٤. علي بن محمد الهري، فقد نقل عنه^(٥) في مواضع، منها ما ذكره الهروي من معاني (لولا) أنها تكون للنفي^(٦) بمعنى م (كقوله تعالى: M لولا أنزلنا القرآن على هؤلاء لآخزتهم إلى أجل قريب).^(٧) أ ي: فلهمي.

ومن معانيها التي ذكرها الاستفهام^(٨)، وجعل منه قوله تعالى: M لولا أنزلنا القرآن على هؤلاء لآخزتهم إلى أجل قريب. وغيرهم من العلماء الذين كثر ت أسماؤهم في كتاب مصاييح المغاني في حروف المعاني، وقد خرج محقق الكتاب أغلب هذه النصوص.

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا، شافعي، له مصنفات كثيرة، منها (المقاييس والمجمل والتفسير) و (فقه اللغة) و (متخير الألفاظ) و (الصاحبي)، (ت: ٣٩٥هـ). ينظر ترجمته في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٧، و طبقات المفسرين للسيوطي: ١٥.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٩٣.

(٣) مصاييح المغاني: ١٣٦.

(٤) ينظر: مصاييح المغاني: ٤١٩ - ٤٢٠.

(٥) ينظر: الأزهية: ١٦٩ - ١٧٠.

(٦) سورة يونس، آية: ٩٨.

(٧) ينظر: الأزهية: ١٦٦.

(٨) سورة المنافقون، آية: ١٠.

أثر منهجه الأصولي في التأصيل اللغوي

مأله هـ من علماء الأصول، فنراه يعول على هذا العلم كثيراً في مسائل نحوية ودلالية، فيذكر بعض الأصول والكلديات التي تعارف عليها علماء الأصول واللغة، مثل قوله: «لا تثبت القواعد الكلية مع قيام الاحتمال، وهذا أصل فاعتمد عليه في جميع ملامد عليك» واداً على مخرّج الهاء في إنّه من قول الشاعر:

لَمَّا قَامَ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَوْمٌ قَدَرْتَهُمْ قَوْمٌ نَهَ (١)
على ذأها هاء السكت لا هاء الضمير واء ذ معنى (ذ) (ع م). (٢)

وقال موجهاً لمعنى (كاد) بعد أن ذكر الخلاف (٣) في دلالتها فقال: إنّه «تستعمل على أصل الوضع، لمعنى المقاربة من غير دلالة على نفي الفعل، ولا على وقوعه، ومنه قوله تعالى: 3M 4 5 6 7 L (٤) وقوله تعالى: Liu t sr q pM (٥) ... فاحتفظ بهذا فإنه قصد نفيس يندفع به

(١) البيت من مجزوء الكامل، لابن قيس الرقيات كما في ديوانه: ٦٦ ، وهو من شواهد الكتاب: ١٥١/٣ ، والأزهية: ٢٥٨ ، و شرح المفصل لابن يعيش: ٧٨/٨ . ويقول ابن هشام في مغني اللبيب: ٣٧ : «ورد بأن لا نسلم أن الهاء للسكت، بل هي ضمير منصوب بها، والخبر محذوف، أي إنه كذلك».

(٢) ينظر: مصابيح المغاني: ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) يقول ابن هشام في مغني اللبيب: ٧٣٨ : «قولهم في كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات... وقد اشتهر بينهم حتى جعله المعري لغزا فقال (من الطويل) :

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت إن أثبتت قامت مقام الجحد»

(٤) سورة طه، آية: ٥.

(٥) سورة النور، آية: ٤٠.

التصويب على الم عرين... وبه يبطل تكلف بعضهم^(١) في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَسَاكَ السَّاعَةُ

آتِيَةً أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾^(٢) معناه أريد أخفيها... والبقاء على الأصل خير من العدول إلى

المجاز، والله أعلم.^(٣)

فعلماء أصول الفقه - على سبيل المثال - يرون رجحان الحقيقة على

المجاز لأنّها لا تفتقر إلى قرينة أمّا المجاز فيفتقر إلى القرينة، لأنّه بدل للحقيقة،

فلا بد من قرينة تصرف اللفظ عن الأصل إلى البدل أو الخلف، والمجاز خلف عن

الحقيقة.^(٤)

ويرى الموزعي في كتابه (الاستعداد لرتبة الاجتهاد)، و(تيسير البيان لأحكام

القرآن) أنّ الترجيح في المعاني ينقسم على أقسام، أولها الترجيح بالأصل، ويقصد به

أصل المعنى، فإذا ختلف في معنيين وكان أحد المعنيين معلوماً بالنص، فهو قدّم

على معلوم بالاستدلال وإنّ كلّ أصل كان دليله أقوى، كان المعنى المستنبط منه

أولى.^(٥) وغيرها من الأصول التي أسعفته في الفهم والتوجيه والاستدلال.

وقد يخرج بمعان جديدة انفرد فيها لأنّ الأصوليين «دققوا النظر في فهم

أشياء من كلام العرب، لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون فإنّ كلام العرب بمتسع،

(١) ومنهم: الأخفش في معاني القرآن: ٤٠٣/٢ ، إذ يقول: «وزعموا أن (كاد) أريد، وأنها لغة، لأن أريد قد تجعل مكان كاد» ، ومنهم: الأنباري في الأضداد: ٦٦ - ٦٨.

(٢) سورة طه، آية: ٥.

(٣) مصاييح المعاني: ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٤) ينظر: أصول الفقه الإسلامي: ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

(٥) ينظر: الاستعداد لرتبة الاجتهاد: ١٢٠/٢ - ١٢١، تيسير البيان لأحكام القرآن: ١٩٤.

والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة، دون المعاني الدقيقة، التي تحتاج إلى نظر الأصولي، باستقراء زائد على استقراء اللغوي»^(١).

فترى مالاً فيء يضع بصماته التأملية على بعض مباحث السابقين، فيقول بعد أن يعدد معاني الهمزة: «ووقع لي معنى تاسع، ولم أره لأحد، وهو الامتنان، كقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾»^(٢).^(٣)

وجاء بقول الشاعر:

نَدَاكَ عَذَابُ كَذِبِهَا إِنْ جَزَعًا نَدَاكَ سِرُّهَا^(٤)
ليكون دليلاً عنده على معنى سابع في (د) فقال: «وبقي عندي معنى سابع فهمته من كلامهم ولم أجد أحداً ذكره على ما ذكرته، وهو أن يكون معناها: التفصيل»^(٥).

ومنها أيضاً ما ذكره في (أ ي) أنها تأتي للاستفهام الإنكاري، فجاء بقول الشاعر:

نَهَبُ أَيُّ لَدَسٍ رَ فِهْ لُؤْ ذِي غَ وَلَا لَ^(٦)

(١) البحر المحيط في أصول الفقه: ١٤/١.

(٢) سورة الانشراح، آية: ١.

(٣) مصاييح المعاني: ٧٦.

(٤) البيت من الوافر لدريد بن الصمة، ينظر ديوانه: ٦٨ ، وهو في الكتاب: ٢٦٧/١ ، يقول سيبويه: «فهذا على (إما) محمول» والشاهد فيه (فإن جزعا وإن إجمال) على أن معنى (إن) التفصيل كما خرجه ملا وزعي.

(٥) مصاييح المعاني: ١٧٤.

(٦) البيت من البسيط للمتخل الهذلي، ديوان الهذليين: ٢/٢٥٥ (ظَلَمَ دُعَجٌ)، وهو في الخصائص: ٤٣٣/٢ ، وفيه (من يومه) ، و أمالي ابن الشجري: ٧٧/١ ، والشاهد فيه مجيء (أي) للاستفهام الإنكاري في قوله: (أي فتى) بمعنى لا فتى، كما وضحه ملا وزعي.

فقال: «ولم أر أحدا ذكره أيضا».^(١) وغيرها من العبارات التي نفهم منها أنه تفرد بالسبق في الإفصاح عن معانيها الجديدة.^(٢)

اتجاهه النحوي :

استعمال المصطلحات في الكتب النحوية، يمكننا من معرفة المذهب النحوي الذي يأخذ به صاحب الكتاب، واختلاف المصطلحات النحوية لدى علماء المصيرين أمرين لا شك فيه، وهو خلاف لا يقل أهمية عن خلافهم في مسائل النحو.

«ولابد للنحو بصيرورته صناعة، من مصطلحات تكون أعلاماً على موضوعات، ومعان يطلقها أصحاب الصناعة، فيفهمها الدارسون من أهلها».^(٣)

وملا فيء استعمال المصطلحات البصرية في أغلب فصول الكتاب وأكثر من متابعته أهم، بل نجده يقول: «وهو قليل، ولم يحفظه سيبويه ولا المبرد» عند رده على أن يجعل (عدا) حرف استثناء جارا للمستثنى.^(٤) أما أشهر المصطلحات التي تردت عنده في الكتاب، فنذكر منها على سبيل الإيضاح ما يأتي:

١. حروف الجر: وهو مصطلح بصري شاع استعماله في كتبهم،^(٥) وهو يقابل الخفض عند الكوفيين.^(٦)

(١) مصاييح المغاني: ١٩١.

(٢) ينظر: مصاييح المغاني: ٤٢١، ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) مدرسة الكوفة: ٣٠٣.

(٤) ينظر: مصاييح المغاني: ٢٩٧.

(٥) ينظر: الكتاب: ١٥٥/١، ١٥٨، ١١/٢، ١٤ - ١٥، ومعاني القرآن للأخفش: ١٧/١،

٢٧٥/٢، و المقتضب: ١١/٢، ٢١١/٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٠، ومختصر النحو: ٤٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٤٤٣/٤.

وقد استعمل مالا جزئاً (حروف الجر) في مواضع، منها عند كلامه على اللام، حيث قال: «وَأَلَا المتحركة فعلى ثلاثة أقسام: لام الإضافة، ولام الأمر، ولام التوكيد»^(١) لَام الإضافة فهي لَام الجر»^(١).

٢. لَام الابتداء: وهو مصطلح بصري، لا يعرفه الكوفيون بل ينكرونه؛ لأن ما يسميه البصريون لَام ابتداء يسميه الكوفيون لَام القسم المقدر^(٢).

ومالا جزئاً اعتدّ بالمصطلح البصري، فقال: «لَام الابتداء، وفائدتها توكيد مضمون الجملة... وهي اللام الداخلة على المبتدأ، نحو قوله تعالى: i h M k j L n m l»^(٣).^(٤)

٣. ضمير الشأن: ويسميه الكوفيون (المجهول) قال ابن يعيش^(٥): «إنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية، فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير وتفسيراً له... ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفضيم والتعظيم... فهو ضمير لم يتقدمه ظاهر إنَّ ما هو ضمير الشأن... ويسميه الكوفيون الضمير المجهول، لأنه لم يتقدمه ما يعود إليه»^(٦).

(١) مصاييح المغاني: ٣٧٠.

(٢) ينظر مغاني القرآن (الفرع ١٠/٦٦، وشرح القصائد السبع: ٥٣٧، والإتصاف في مسائل الخلاف: ٣٩٩، رقم المسألة (٥٨).

(٣) سورة الحشر، آية: ١٣.

(٤) مصاييح المغاني: ٣٨٥.

(٥) يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، النحوي، من أكابر أئمة العربية، كان ماهراً في النحو والتصريف، من تصانيفه (شرح المفصل) و (شرح الملوكي لابن جني)، (ت: ٦٤٣هـ).
تتظر ترجمته في: إنباه الرواة: ٤/٤٥، و البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٨٣.

(٦) شرح المفصل لابن يعيش: ٣/١١٤، ١٥٩.

وفي حديث ملا فيزء عن () وأحكامها قال: «وقد يرتفع بعدها المبتدأ فيكون اسمها ضمير شأن محذوف». (١)

٤. العط ف: ويسميه الكوفيون (النسق) وهو من مصطلحات البصريين، يقول ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ): «والعط ف من عبارات البصريين، والنسق من عبارات الكوفيين، ومعنى العط ف الاشتراك في تأثير العامل... وقيل له نسق لمساواته الأول في الإعراب، يقال: ثغر نسق، إذا تساوت أسنانه...». (٢)

وملا فيزء أطلق على الواو عاطفة، وهي لمطلق الجمع. (٣)

وتابع ملا فيزء البصريين في مسائل كثيرة مثل:

١. (هم) : وهي اسم عند الكوفيين، وفعل غير متصرف عند البصريين، (٤)

قال ملا فيزء : هم بكسر النون فعل ماض جامد لا يتصرف». (٥)

٢. (لولاي ولولاك) : يرى الكوفيون أن الضمير الواقع بعد (لولا) في موضع

رفع، وذهب البصريون إلى أن الضمير في موضع جر، (٦) وملا فيزء تابع

البصريين في هذا القول، حيث قال: «وقد يليها المضمرة المجرورة قليلاً :

لولاك ما صمنا ولا صلينا...» (٧)

(١) مصاييح المغاني: ١٦٠ - ١٦١.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش: ٧٤/٣ ، ويستخدم الفريقان المصطلحين إلا أن الكوفيين

يستخدمون النسق أكثر، ينظر: معاني القرآن (الفراء) ٢٦/١، والاصول في النحو: ٣٥١/٢.

(٣) ينظر: مصاييح المغاني: ٥١٩.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٩٧، والتبيين عن مذاهب النحويين: ٢٧٤.

(٥) مصاييح المغاني: ٤٩٧.

(٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٨٧ ، رقم المسألة (٩٧).

(٧) مصاييح المغاني : ٤١٨

ثانيا: مفهوم الشاهد وأنواعه في الدراسات اللغوية:

انطلقت الدراسات اللغوية والنحوية عند علماء اللامعة ، على مجموعة من القواعد العلمية، والأسس التاريخية، استقوا منها منهجهم في البحث اللغوي، وكان الاحتجاج بالشواهد النحوية يمثل في حقيقته بوابة لابد لدارس النحو من المرور عليها، للخوض في أعماق اللغة، وتحليل عناصرها، ووضع قواعدها وأركانها.

فالشاهد لغة: هو خبر قاطع، منه شدة الرجل على كذا.. والمشاهدة المعاينة... وشهده شهوداً أي يضره، فهو شاهد وقوم شهوداً أي يخضرون، وأشدّه دليلاً لأكفه أي يأخضرنه.. وشهود الناقلات موضع منتجها. (١)

وفي تهذيب اللغة الشاهد للجم، وقيل: مالفلان راو ولا شاهد، معناه: ما له منظر ولا لسان. (٢)

وفي القاموس المحيط: الشاهد خبر قاطع واستشهد سأل أن يشهد. (٣)

ومن التعريفات الآتية يمكن أن نلاحظ الخيط الذي يجمع بينها، وهو أن الشاهد لغة هو اسم فاعل من (شهد) وهو أثر دال على حقيقة الشيء، أو وجوده، وهو الخبر القاطع، وهذا الخيط إذا ما تمسكنا به فإنه سيقودنا إلى فهم اصطلاح الأصوليين، وعندهم هو «الجزئيات التي تذكر لإثبات القواعد من كلام الله تعالى،

(١) ينظر: الصحاح: ٣٧١/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٧٥/٦ - ٧٦.

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ٣٠٣/٤.

أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو كلام العرب بلعُ رباء الثابتة فصاحتهم ،
الموثوق بعريبتهم»^(١).

وهذا ما ذه ب إليه الأستاذ سعيد الأفغاني في بيانه حقيقة الاستشهاد فقال:
«ما يراد به إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صح سنده
إلى عربي فصيح سليم السليقة»^(٢).

فالشاهد بعد كل هذا هو: قول منقول عن عربي فصيح سليم اللسان، انطبقت
عليه شروط الاحتجاج الزمانية والمكانية، التي حددها العلماء... وسيأتي تفصيلها
لاحقاً.

وقد نجد في كتب النحو مصطلح (الشاهد) ومصطلح (المثال) والفرق بينهما
هو أن الشاهد «الجزئي الذي ذكر لإثبات القاعدة، كآية من التنزيل، أو قول من
أقوال العرب الموثوق بعريبتهم، والمثال: ما يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم
المستفيد، ولو بمثال مصنوع، والفرق بين الشاهد والمثال بالعموم والخصوص من
وجه، فإن كل ما يصح شاهداً يصح مثلاً، من غير عكس»^(٣).

والشواهد من حيث موضوعاتها تنقسم على أقسام:

١. الشواهد اللغوية: وهي في المرتبة الأولى من حيث عددها وانتشارها بين
طيات المعجمات وكتب اللغة، إذ زخرت المكتبة العربية بكثير من الكتب التي
انتشرت داخلها الشواهد الدالة على صيغة أو معنى أو استعمال، ومن أمثلة ذلك ما

(١) تحرير الرواية في تقرير الكفاية: ٩٥ .

(٢) في أصول النحو: سعيد الأفغاني: ٤ .

(٣) إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد: ٦٠ .

جاء في الصحاح: (١) أَظَرَ قَى أَهْمُ لَقَ من الحجر ومن الحافر: الأملس الم دور،
قال الشاعر:

كَلِّ مَوْقُوعِ نَدَّورِ ذُقَا مِ قَى جَرِّ . لَلَّ (٢)
ومال موزع استدل ببعض الشواهد ليدل على معنى معجمي أرادته، ومنه قول
الشاعر:

تَلِّ بَنِي مَدِّ رَبِّهِم أَلَّا لِيَّ عِيَّ رِهَ . لَلَّ (٣)
ليبين من خلاله ذَّ (جَلَل) (٤) قد تكون اسماً بمعنى (سيروهي ن) وهو من
الأضداد. (٥)

٢. الشواهد النحوية: وهي كسابقتها تمتاز بوفرة العدد وسعة الانتشار في
كتب النحو، وتأتي هذه الشواهد لتدل على العوامل النحوية وآثارها الإعرابية.

والشواهد النحوية في حقيقتها نوعان: شواهد نثرية، وتدرج فيها الشواهد
القرآنية، والحديث الشريف، وما حكى عن العرب من كلامهم المنثور، وشواهد شعرية
وهي السواد الأعظم من شواهد النحويين. (٦)

(١) ينظر: الصحاح: ١٧٠/٦.

(٢) البيت من الرجز لرؤبة كما في ديوانه: ١١١، واستدل به الجوهري على معنى دملق.

(٣) من المتقارب لامرئ القيس: ديوانه: ١٨٠، وهو في الأضداد لابن الأنباري: ٦٣، وعجزه
في همع الهوامع: ٧٢/٢.

(٤) ينظر: مصاييح المغاني: ٢٣٠.

(٥) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٦٣ - ٦٤.

(٦) ينظر: الشواهد القرآنية في النحو عند ابن هشام: ٥.

وهذه الشواهد استعملها ملا وزيء بكثرة في كتابه، استدلالاً على الآراء النحوية التي ساقها، سواء أكانت آراءه أم آراء غيره من العلماء، وستأتي، إذ شاء الله ، في موضعها.

٣. الشواهد البلاغية: وقد أتى بها العلماء من أجل التمثيل على الموضوعات البلاغية التي تناولوها بالدرس ضمن أقسام البلاغة، من معان وبيان وبديع، وملا وزعي أشار في بعض شواهد إلى ما ذكره أهل هذا الاختصاص وأفاد منهم في فهم الشاهد، ليكون بعد ذلك دليلاً نحوياً ، كما في كلامه على (كل)^(١) و (كاد)^(٢) وغيرهما.

وبهذا تتجلى لنا قيمة الشاهد في النحو، بل قيل: إذ الشاهد في علم النحو هو النحو نفسه، وكانت قيمة العالم تتجلى في معرفته بالشواهد، واستخراجه لها من الكلام الفصيح، واستحضاره إياها عند الحاجة.^(٣)

(١) ينظر: مصاييح المغاني: ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) ينظر: مصاييح المغاني: ٣٣٠ - ٣٣٥.

(٣) ينظر: الشواهد والاستشهاد في النحو: ٢٣.